مجلة أنثروبولوجيا ISSN: 2437-041X
مجلد: 07 عدد: 01 السنة: 2021 E-ISSN:2588-2325

التصورات الاجتماعية للعِرض والشّرف داخل الأسرة الجزائرية

أسر الشرق الجزائري آنمودجا

Social visions of honor within Algerian family Eastern Algeria's families as an example

حجلة مريم*، مخبر التربية، الانحراف الجريمة والمجتمع، جامعة باجي مختار عنابة، meryem.hadjela@univ-annaba.org

بوخريسة بوبكر، مخبر التربية، الانحراف الجريمة والمجتمع، جامعة باجي مختار عنابة، boukhrissa_boubaker@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2021/05/04 تاريخ القبول: 2021/05/31 تاريخ النشر: 2021/06/05

ملخص:

يرتبط الشّرف والعِرض ارتباطا وثيقا بالعُرف والمقدّس الاجتماعي بصفته معطى سوسيو-ثقافي ميز العديد من المجتمعات العربية والغربية على السواء وشغل حيزا كبيرا في ممارساتها وتصوراتها. ونهدف من هذه الدراسة الى تسليط الضوء على تمثلات الأسرة الجزائرية للشّرف كقيمة ومفهوم يتجسد في مضامين الحشمة و النيف والحرمة ... نحاول الإلمام بجوانب الموضوع عبر دراسة ميدانية لبعض أسر الشرق الجزائري بدءا بمعالجة مفاهيم العِرض والشّرف في الأدبيات السوسيولوجية، قيمتها في الهندسة الاجتماعية، علاقتها بالمجال وبالمرأة وبالذات سلوكها الجنسي. من هذا المنطلق قمنا برصد أهم التغيرات القيمية التي طرأت على الوسط الأسري الجزائري واستجلاء مظاهر ثقافية فيها تكشف عن مدى اعتقادها بضرورة الحفاظ على السمعة والتمسك بالشرف.

الكلمات المفتاحية: الشرف والعِرض، التصورات ، القيم، المرأة، الأسرة (الجزائرية).

* المؤلف المرسل

Abstract:

Honor and dignity are closely related to the social sanctity for its consideration as a socio-cultural prospect that has distinguished many Arab and Western societies and occupied a large space in their perceptions and practices. We aim in This study to shed light on the Algerian family's visions to honor such as a value and concept which is embodied different concepts such as: Nif, decency, Horma ... We tried to get acquainted with aspects of the subject through a field study covering a group of eastern Algerian families, beginning with dealing with the concept of honor, In the sociological literatures and its value in social engineering, Its relationship to the field and women, in particular her sexual behavior. and from this standpoint, we have monitored the value changes that affected the Algerian family system and elucidated cultural aspects, It reveals their belief in the necessity of preserving the reputation and adhering to honor.

Keywords: Honor, values, visions, woman, Algerian family

مقدمة:

يعبر الشّرف عن قيمة اجتماعية تشترك فيها شعوب المتوسط بغض النظر عن الخصوصيات التي تميز كل منها في كيفية تصوّر (تمثّل) هذه القيمة (Pitt-Rivers, 1983, p. 15) الأمر الذي جعل منه موضوعا كلاسيكيا للأنثروبولوجيا المتوسطية جذب اهتمام العديد من المفكرين وعلماء الاجتماع والانثروبولوجيا، فالبحث عن المعنى الحقيقي للشرف يضع أمامنا ثلاث مفاهيم لا غنى عنها وهي: قيمة الشّرف في حدّ ذاته، التصورات السائدة التي تعمل على الاعلاء من هذه القيمة داخل المجتمع، التصاق الشرف بالجسد الانثوي.

في هذه الورقة البحثية نهدف إلى إبراز قيم العِرض والشّرف من خلال إعطاء رمزية تجسّد الواقع الاجتماعي لهما داخل الأسرة الجزائرية (الجهة الشرقية)، تتحدّد إشكالية العِرض والشّرف إذن في الرؤية الفردية والجماعية التي تعكس نمطية هاتين القيمتين وتداخلها مع القيم الاخلاقية المماثلة، وانطلاقا من هذه الرؤية نطرح التساؤلات الآتية:

- ماهي التصورات الاجتماعية التي تكوّنها الأسرة الجزائرية عن قيمتي العِرض والشرف ؟

- ماهي مكانة الشّرف في المجتمع (الشرقي) الجزائري ؟

- ما العلاقة بين الجسد الأنثوي والعِرض في ثقافة الأسرة الجزائرية ؟

- كيف تأثرت القيم الاجتماعية ومن ضمنها قيمة الشرف بالتغيّر الاجتماعي و الحداثة ؟

1. قيمة الشرف في الهندسة الاجتماعية:

على الرغم من الاعتقاد السائد بأن الشرف هو مفهوم تاريخي قديم الا انه في الواقع فكرة محورية في أي نظام اجتماعي. حسب بيث ريفر(Pitt- Rivers) كل مجتمع قديم كان أو حديث يقوم على ميثاق الشرف والعار الذي يؤسس العلاقة داخل الأسرة والمجتمع. ولذلك يعكس هذا الميثاق القيم الأخلاقية للمجتمع التي تدعي كل سلطة سياسية أنها تمثله، يميز ريفر بين الشرف المسند والشرف المكتسب، فيجعل الأول (الشرف المسند) في طبقة اجتماعية معينة كالطبقة البرجوازية المالكة أو الحاكمة التي لها الاسبقية على باقي افراد المجتمع، ويجعل الثاني(الشرف المكتسب) في العمل الفردي للشخص الذي يحظى بتقدير الشرف داخل النظام، عمل بطولي، القيادة أو الزعامة، الضباط العسكريين وأسرهم ... (Pitt-Rivers, 1983, p. 24)

عند دراسة ريمون جاموس (Raymond Jamous) لمنطقة الريف المغربي استطاع أن يكشف عن وجود أربعة مكونات أساسية تمثل شرف وعِرض القبيلة لدى الانسان الإقليمي وهي: (التراب) بالنسبة للمجموعات الانقسامية، (المرأة والمنزل والأرض) بالنسبة للفرد. وتبين أن التراب له مكانة اجتماعية تمثل قيمة عليا من قيم العِرض والشرف على حساب علاقات القرابة، فالرجل بمنطقة الرّيف الشرقي لا يكتسب هويته إلا بحيازة الأرض والدفاع عنها، وبدونها يفقد منزلته وانتماءه للجماعة المتلاحمة التي تسعى الى الحفاظ على العِرض بهدف الحفاظ على سلطة وتوازن القبيلة. إذن ثلاثية(الأرض والزوجة والمنزل) ضمن قيم العِرض التي تحدث عنها ريمون جاموس داخل الوسط القبلي، فأي مساس بالشرف سواء كان الأمر يتعلق بالأرض أو المنزل أو المرأة يقابله الثأر من ذلك". (Hérisson, 2014, pp. 37-40)

أما بيير بورديو فقد انطلق من البيت القبائلي الجزائري كمجال لنسق قيمة الشّرف ومن النّيف (الأنفة) كمعيار لتلك القيمة. تعبر كلمة "الحُرمة" عن الفضاء المقدّس الذي يعني: الحرام والمحرّم وبمقدار ما تكون للعائلة حُرمة تدافع بها عن تلك القيمة المقدسة (الشرف) بقدر ما يكون لها "نيف"

(أي أنفة). وأضاف بورديو أن "البندقية" التي هي من نصيب الرجال هي التجسيد الرمزي للنّيف في منطقة القبائل الكبرى (ثروة البندقية لا تقاس بعددهم وإنما بوعيهم بنقطة شرفهم) . , (Bourdieu 1974, p. 17)

بما أن حقيقة الجسد ظاهرة بيولوجية ثقافية أنتجها المجتمع وقنّنها، فإنه حسب David le Breton يتكون من جانبين هما:

"البناء الاجتماعي والبناء الثقافي" (لوبروطون، سوسيولوجيا الجسد ، 2014، صفحة 56) فالجسد من حيث الانتماء ليس فرديا ومنعزلا عن الآخرين، وتحدث عن الخاصية الثقافية التصورية للجسد الاجتماعي أيضا في كتابه (أنثروبولوجيا الجسد والحداثة) إذ يصفها على أنها: "بناء رمزي وليس حقيقة في ذاتها ومن هنا منشأ عدد لا يحصى من التصورات التي تسعى لإعطائه معنى و سبب طابعها الغريب والشاذ والمتناقض من مجتمع لآخر" (لوبروطون، أنثروبولوجيا الجسد والحداثة، 1997، الصفحات 11-12)

يؤكد بيير بورديو على أهمية القيم المرتبطة بالجسد التي يجعلها المجتمع حتما مقضيا، ففي مجتمع القبائل دائما يُنظر إلى القيم والفضائل المرتبطة بالجسد الانثوي باعتبارها أمرا ملائما تماما لضبط جنسانية المرأة، عبر الامتثال للفضائل في طريقة استخدامها لجسدها وتوجهاته تحركاته في حياتها اليومية مثل: خفض الرأس عند المشي، الأكل بفم مغلق، عدم رفع الصوت ...على خلاف الرجل. إن الجسد هنا يعبر عن عالمين متناقضين: عالم الفضائل الأنثوية (Féminine virtues) كالحياء والاحتشام والتحفظ التي توجه الجسد الانثوي إلى الأسفل (حركة نحو الارض، نحو الداخل، إلى المنزل) وعالم الذكورة الذي يتضمن مزايا مغايرة تماما(حركة نحو الأعلى، نحو الخارج، إلى عوالم أخرى) (عبد العظيم ، 2011، صفحة 72)

ففي المجتمع الحساني الحفاظ على العذرية أمر لا يناقش، وهي من الامور التي تشغل الفتاة منذ بلوغها وبسبب العرف والتقليد فإنها تربى اجتماعيا على الحفاظ عليها لضمان شرف العائلة، كما اشارت مباركة بلحسن أنه يتم توظيف بعض التقنيات التقليدية في المجتمع المحلي من خلال المشية، الصوت أثناء عملية التبول، طراوة اللحم... للتعرف على الفتاة العذراء وتمييزها عن غير العذراء. شرف العائلة يبقى اجتماعيا رهن سلامة الفتاة " فالمفاهيم المتعددة تجاه الحياة الجنسية والعذرية عند النساء تمتزج بالفضيلة والشرف، وهذا الربط بين الشرف والحياة الجنسية الانثوية يمثل بصورة خاصة أهمية في المجتمعات العربية الاسلامية". (بلحسن ، 2019، الصفحات 126-127)

2. المنهج و الأدوات:

تم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي لوصف أهم الجوانب التي تجسد الشرف كقيمة داخل الأسرة الجزائرية ثم تحليل التصورات (التمثلات) التي تعمل على ربط مفاهيم هذه القيمة بالخصوصية الثقافية للمناطق (ريف، مدينة ، قرية). كما وظفنا المنهج المقارن من أجل معرفة بعض جوانب التغيّر الذي طرأ على قيم الأسر في الشرق

أما الادوات فاستخدمنا استمارة تضمّنت 27 سؤال وزعناها على أربعة محاور: المحور الأول خاص بالبيانات الشخصية للعينة وتضمن 6 أسئلة، المحور الثاني خاص بمكانة وقيمة الشّرف داخل الأسرة الجزائرية وتضمن 6 أسئلة. أما المحور الثالث فتضمن 9 أسئلة بخصوص الطرح التصوري للجسد الأنثوي وعلاقته بالشرف، بينما تم تخصيص المحور الرابع لانعكاس التغيّر الاجتماعي والثقافي على القيم وعوامل التنشئة في 6 أسئلة. ثم جمعنا الإجابات بعد توزيع الاستمارات على 60 فردا من الشرق الجزائري.

بالإضافة الى المقابلة الموجهة مع 3 أفراد من كبار السن(2 نساء عجائز وشيخ) وذلك لمعرفة أفكار الجيل القديم عن الشرف الاسري زيادة عن ضعف مستواهم التعليمي الذي لا يسمح بالإجابة عن الاستمارة، واستعملنا تقنية الملاحظة بالمشاركة بحكم انتمائنا إلى أسرة ريفية شرقية تولي الكثير من الاعتبار للعرض والارض.

3. مجالات الدراسة:

كما هو شأن البحوث الميدانية في العلوم الإنسانية والاجتماعية المختلفة، يمكننا أن نعرّف بمجالات دراستنا هذه كما يلي:

3.1.المجال الجغرافي: اقتصرت الدراسة على بعض الأسر بمنطقة الشرق الجزائري من أرياف وقرى ومدن وشملت 10 مناطق وهي: قسنطينة، جيجل، عنابة، سكيكدة، الطّارف، سوق أهراس، سطيف، ميلة، باتنة، تبسّة.

3.2 .المجال الزمني: دامت فترة الدراسة أربعة شهور ونصف منذ شهر ماي 2020.

3.3. المجال البشري: العينة من ولايات الشرق الجزائري فقط وبذلك فهي قصدية، إضافة إلى كونها عشوائية من كلا الجنسين بين (21- 50 سنة) ومن مستويات تعليمية مختلفة، اضافة الى اجراء

مقابلات موجهة لبعض الشيوخ في السبعين من العمر ليصبح مجموع العينة 63 مفردة. والهدف من إشراك جميع الفئات في البحث هو ان قضايا الشرف تهم الأسرة بأكملها.

4.تحليل البيانات وتفسيرها:

4.1 مكانة الشّرف داخل الأسرة الجزائرية

تكتسي عملية تحليل البيانات وتفسيرها أهمية أساسية في البحث العلمي. فهي تمكن الباحث من ربط البيانات الميدانية الوثيقة الصلة ببعضها من أجل مطابقتها والإجابة على التساؤلات المطروحة في الإشكالية... نحاول تحليل المعطيات التي أحطنا بها في هذه الدراسة كما يلي:

جدول رقم 1: مفردات العينة حسب متغير الجنس، السن، مستوى التعليم ومكان الإقامة

المتغيرات	الفئات	التكرار	النسبة
الجنس	ذكر	26	43.33%
	أنثى	34	% 56.67
	المجموع	60	% 57.10
السن	من 21-30 سنة	23	% 38.30
	من31 - 40 سنة	30	% 50
	من 41- 50 سنة	4	% 6.70
	أكبر من 50 سنة	3	% 5
	المجموع	60	% 100
المستوى التعليمي	ابتدائي	0	0
	متوسط	4	% 1.66
	ثانوي	2	% 3.33
	جامعي	27	% 45
	دراسات عليا	27	% 50
	المجموع	60	% 100
منطقة السكن	حضرية	43	% 71.70
	ريفية	9	% 15
	قروية	8	% 13.30
	المجموع	60	% 100

المصدر: سؤال رقم (1) خاص بالبيانات الشخصية للمبحوثين

من خلال بيانات الجدول أعلاه نلاحظ بأن حجم العينة بلغ 60 مفردة مثلت فئة الذكور منها نسبة (43.33 %) و نسبة (56.67 %) من الإناث، تتراوح أعمارهم بين[21-50 سنة]علما بأن متوسط الفئة العمرية قد بلغ 9 سنوات. وشكلت الفئة التي عمرها بين [40-31] سنة أعلى نسبة [50 %] مقارنة بالفئة الأكبر سنّا [تجاوزت 50 سنة] التي لم تتجاوز نسبة 5%. وأما بخصوص المستوى التعليمي فقد بلغت فيه نسبة التعليم الجامعي (ليسانس) 45 % وبلغ مستوى الدراسات العليا [50 %] وفي الأخير تتوزع مفردات البحث في ميدان الدراسة بين المدينة (71.70 %) والرّيف (15 %) والقرية (13.30 %) فعمدنا الى اكتشاف وتعريف الخصائص الثقافية التي تطبع كل بيئة (الخضوع لسلطة التقاليد والأعراف والقيم ..).

جدول رقم 2: محدّدات الشّرف داخل الأسرة الجزائرية

الفئة / التصور	التكرارات			المجموع	النسبة			المجموع
	حضرية	ريفية	قروية		حضرية	ريفية	قروية	
الدّين	30	4	0	34	% 50	6,66 %	0	%56,6
العرف	2	20	3	25	%3	33.33	% 5	%41.6
القانون	0	0	1	1	0	0	1.66	%1.66
المجموع	32	24	4	60	%55	% 40	% 5	% 100

المصدر: السؤالين رقم (3-2) يخصان محددات الشرف

يبنى مقياس الحكم على تصوّر(تمثل) الشّرف بالنسبة للفرد والأسرة والمجتمع وفق معايير ثلاثة: المحدد (المتغير) العُرفي والعامل القانوني والعامل الديني. وتعتبر هذه العوامل(المتغيرات) كلها قواعد اجتماعية ضابطة تتقاطع لتشكل نسيجا اجتماعيا متوازنا. وجراء قراءتنا للبيانات التي استقيناها من الجدول رقم (2) لاحظنا بأن العامل الديني يعتبر هو المحدد الحاسم الذي يُبنى عليه

تصور وقيمة الشّرف في المجتمع الجزائري (منطقة الشرق) بأعلى نسبة (56.6 %) من مجموع الاجابات الأفراد المبحوثين. يليه من حيث الأهمية متغيّر العُرف الذي بلغ 41.6 % خاصة لدى الأسر الريفية (33 %) التي لا تزال تحت سلطة القبيلة وضوابط العرش على العكس من المدينة التي تحرّرسكانها نسبيا من إكراهات الحكم العشائري بسبب ظاهرة التغير الثقافي. أما المحدد القانوني فكان تأثيره في تصوّر الفرد الجزائري عن الشّرف والعِرض شبه معدوم تقريبا (1.66 %) ويمكن القول بأن النسق الدّيني، يعزّز من مكانة الشّرف بين أفراد الأسرة الجزائرية لأن الدّين يحرّم الزنا ويدعو إلى التخلق بالحياء ويأمر بغض البصر وإمساك اللّسان عن النطق بالبذاءة ...الخ. هذا ما أكّده سليمان دحماني عند تطرقه لخصائص القيم داخل الأسرة الجزائرية (دحماني ، 2007/2006، صفحة 40)

شكل رقم 1: أهم المفاهيم الحاملة (المعبّرة) للشرف لدى الأسرة الجزائرية

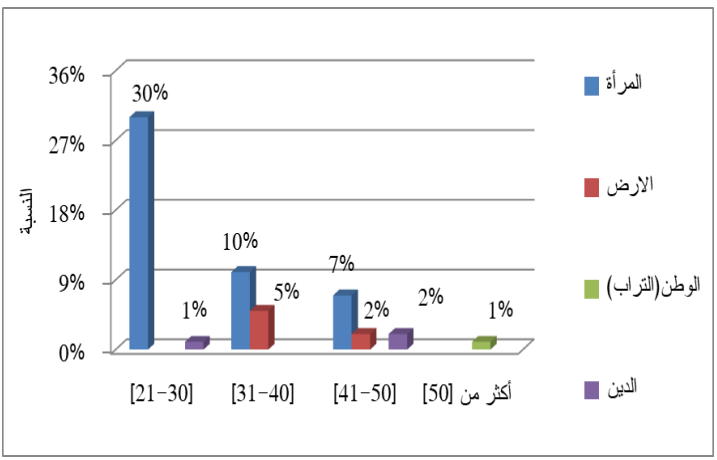

المصدر: سؤال رقم (4) خاص بالعناصر الدالة على الشرف

يوضح التمثيل البياني رقم (1) أن المرأة تعتبر أهم عنصر يحمل قيمة الشّرف وسط الأسرة الجزائرية بأعلى نسبة 47 % لدى الفئة التي تتراوح أعمارهم بين[21-50سنة]. وما يفسّر التصاق تصوّر الشرف بالمرأة وسط العائلة الجزائرية هو مسؤوليتها في الحفاظ على شرف عائلتها الذي يتجسّد في عذريتها وسلوكها الجنسي المرتبطان بالأخلاق والسمعة ذلك لأن "المرأة هي منبع للشّرف ومنبع للعار في الوقت نفسه " (بوتفنوشت، 1984، صفحة 71)

أما بشأن تصوّر الفرد (الجزائري) لأهمية وقيمة الأرض فنجده بنسبة 7 % عند المبحوثين الكهول [40-50 سنة]. كما استنتجنا بأن النسب المتعلقة بالوطن (التراب) والدّين نسب جد ضئيلة لم تتعدّ 1 % لدى كبار السن. هذه الصلة بالدّين والوطن فكرة راسخة لدى الجيل القديم (التقليدي)، وحسب أحد المبحوثين (ب ع، 77 سنة) الذي يقطن بإحدى أرياف منطقة ميلة، فرنسا هي من اتبعت سياسة استعمارية خاصة (الاستيطان) تقوم على انتزاع أراضي الفلاحين وهي السبب وراء تحطم القيم الروحية والفكرية المكونة للمجتمع الجزائري هذه الفترة التي لم يعشها جيل اليوم.

جدول رقم 3: المفاهيم الدّالة على الشّرف حسب مناطق توزيع مفردات العينة

المنطقة / اللفظ	حضرية		ريفية		قروية		المجموع	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
الحرمة	42	70%	8	13.33%	8	13.33%	58	96.67%
الدّار	1	% 1.66	1	0	0	% 1.66	2	% 3.33
النيف	0	0	0	0	0	0	0	0
المجموع	43	71.66%	9	13.33 %	8	15%	60	% 100

المصدر: سؤالين رقم (5-4) حول اللفظ الأكثر دلالة ومدلول في الشرق الجزائري

نلاحظ بأن لفظ (الحرمة) صفة ملازمة لمعنى الشّرف عند غالبية الأفراد وفي كل المناطق(حضرية، ريفية، قروية) بنسبة (96,67 %) ونفسر ذلك لاقترانه بلفظ "الحريم" الذي يعني حسب المرنيسي (الحرام والحَرَم في آن واحد) وهو: "المكان المقدس الذي يخضع الدخول إليه إلى قوانين محددة وصارمة"، ويعني أيضا "الفضاء الخاص الذي يشمل المكان والنساء اللواتي يعشن فيه ويملكهن رجل واحد هو الحامي والسّيد" (المرنيسي، هل انتم محصنون ضد الحريم ؟، صفحة 9) وهذا مفاده بأن تقديس واحترام المرأة يبدا بتقديس مجالها الذي هو البيت. ونرى ان مصطلح "النّيف" لا يدل على الشرف لدى المبحوثين لأنه منعدم . أما مصطلح "الدار" يعبر إلاّ عند فئة متواضعة (3.33 %) عن

الفضاء الذي تمارس فيه نساء العائلة مهامهن. يخضع المنزل إلى هندسة تليق بنظام القيم المجتمعية التي تؤكد على دور الرجل ومكانته بل تمكنه من تحقيق ما أسماه بورديو بـ"الهيمنة الذكورية".

4.2.الرمزية التصورية للجسد الأنثوي وسط الاسرة الجزائرية:

شغلت دراسة الجسد مكانة مهمة ومتنامية في الأبحاث الأنثروبولوجية خاصة تلك التي أجريت على المجتمع الجزائري وتضمنت حضور جسد المرأة في سياقه الاجتماعي والثقافي من خلال فهم مختلف الممارسات المرتبطة به.

شكل رقم 2 : خصائص الشرف الأنثوي حسب متغير سن العينة

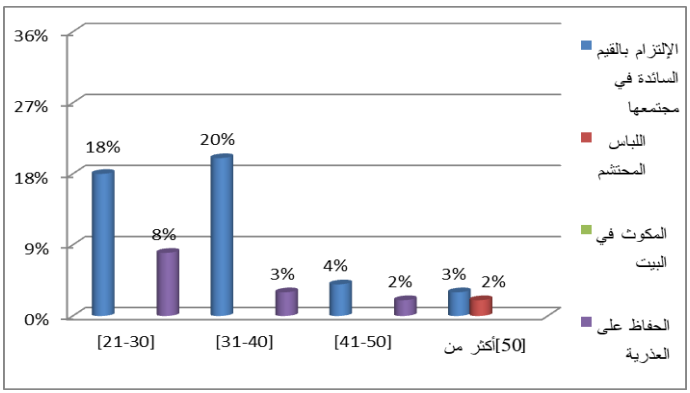

المصدر: سؤال رقم (8) يتعلق بكيفية حفاظ المرأة على الشرف

من خلال قراءتنا لمعطيات الشكل رقم (02) لاحظنا بأن معظم الإجابات (45 %) تؤكد على ضرورة امتثال المرأة للقيم السائدة في مجتمعها. ويبدو أن طبيعة المجتمع حسب نوال السعداوي:" تطالب بضرورة خضوع المرأة ويبدأ ذلك الخضوع باندماجها الجسدي والتزامها بكل السلوكيات المشروطة والمفروضة من المجتمع ذلك أن المجتمع قيّد المرأة لأسباب من عنده" (السعداوي، 1974، صفحة 42) يأتي بعد ذلك، الحفاظ على العذرية بنسبة (13%)، تحتل العذرية أهمية بالغة الأثر بالنسبة للمجتمع الجزائري والعربي فهي "قيمة ثقافية ودينية وأيديولوجية إنها شيء محرّم ومقدس" (شبل، 2010، صفحة 77) وهو ما أدى إلى ضرورة حمايته (العذرية) في المناطق التقليدية المحافظة

بممارسة طقس الإغلاق "التصفاح" (شبل، 2010، صفحة 78) أما النسب المتبقية فهي تمثل فئة الكهول الذين تجاوزت أعمارهم 50سنة التي ترى في احتشام المرأة الشّرف والتربية ففي الماضي كانت المرأة الجزائرية تحافظ على مظهرها اللّباسي اللائق وترتدي الملاية والحايك عند الخروج .. بصفتهما رمزا للشرف والهوية سواء قبل الثورة التحريرية أو بعد الاستقلال هذاما اكدته لنا العجوز (الضاوية 70 سنة، جيجل) في حديثها عن ملازمة المرأة للملاية التقليدية المعروفة التي تحمل معاني العفة وكانت خاصية المرأة التي تحافظ على عرضها بين الرجال.

جدول رقم 4 : التصور النظري للجسد الأنثوي

الخيارات	التكرار	النسبة
شرف الأسرة	7	% 11.66
ملكية خاصة	20	% 33.30
وسيلة لكسب المال	0	0
رمز التباهي والجمال	2	% 3.33
شيء آخر	5	% 8.33
المجموع	34	% 56.67

المصدر: سؤال (17-16) خاص بتصورات الجسد بالنسبة لعنصر الاناث

يتضح من معطيات الجدول رقم (05) أن تصور الفتاة الجزائرية لجسدها يرتبط بفكرة أنه ملكية خاصة بها ولا يحق لأحد التحكم فيه، ويظهر ذلك من اجابات المبحوثات بأكبر نسبة (33,30 %)وهذا راجع إلى تغير نظرة الفتاة الجزائرية نحو جسدها مقارنة بما كانت عليه قبل عصرنة الحياة الاجتماعية (الحجاب، التبرج، مسايرة الموضة...) فالمرأة بالأمس كانت تخضع للرقابة العائلية في ملبسها وطريقة حديثها... أما نسبة (11,66 %) يتصورن في أجسادهن شرف العائلة، وما تقوم به الفتاة بتحفظ يخضع لرقابة الأهل وسلطتهم، لأن كل ما يمس بسمعتها وكرامتها قبل كل شيء يمس بعائلتها.

وبقيت نسبة من المبحوثات يتمثلن في صون الجسد لأنه أمانة من عند الله يفرض عليها أن تحافظ عليه بل يجب استغلاله بالمظهراللائق به من تعليم وعمل وعبادة.... إن تصور الفتاة الجزائرية باعتبارها حاملة لجسدها - يظهر هنا- حسب دراسة بوزيدي سولاف من خلال منطقين أثنين هما :

1-اعتباره معطى طبيعي (إلهي) تحترم فيه المقدسات، يعني العفة والطّهارة.

2-اعتباره معطى اجتماعي (أخلاقي) تحترم فيه الأنثى القوانين العرفية التي أساسها الحفاظ على العذرية وإثبات ذلك يوم الدخول بالعروس (بوزيدي ، سبتمبر 2014، صفحة 118)وما تبقى من أفراد العينة الانثوية قلن بأن الجسد يرمز للجمال والتباهي لأنه يحقق صفات الأنوثة. أما تصوّر الجسد على أنه أداة لكسب المال فلم يحظ بأي إجابة من قبل المبحوثات وهذا يوضح أن الفتاة الجزائرية لم تتأثر بصورة كلية بالتيارات الفكرية الجديدة التي تصوّر المرأة على أنها سلعة استهلاكية (قابلة للتلف) تستغل في تحقيق أهداف مادية وفق متطلبات "السوق الرجالي". وهو ما توصلت إليه الباحثة بوزيدي أيضا.

جدول رقم 5: مفهوم العِرض حسب تصور أفراد العينة

المستوى التعليمي / الخيارات	التكرارات			النسبة		
	رأسمال اجتماعي	رأسمال رمزي	رأسمال ثقافي	رأسمال اجتماعي	رأسمال رمزي	رأسمال ثقافي
متوسط	3	0	0	5%	0	5%
ثانوي	0	0	1	0	0	1.66%
جامعي	20	0	0	%33.3	0	33.3%
دراسات عليا	20	10	5	%33.3	16.66 %	8.33%
المجموع	43	10	6	71.66	16.66	10%
60 مجيب				100%		

المصدر: سؤال رقم(11- 12) تضمن معنى العرض حسب المستوى التعليمي

من بين أهداف هذه الدراسة هو فهم جدلية الشّرف والعِرض كقيمتين متلاصقتين داخل الأسرة الجزائرية، من خلال معطيات الجدول أن هناك اختلافا بشأنهما حسب المستوى التعليمي للمبحوثين والأصل هو إعطاء المعنى المراد من العِرض وحقيقته. تؤكد غالبية الإجابات (71.66 %) على أن العِرض هو رأسمال اجتماعي منهم ذو مستوى جامعي ودراسات عليا (33,5%) يرى بيير بورديو ان "العلاقات القوية تخلق السمعة الطيبة والشرف بين أعضاء الجماعة ومن ثم تكون أكثر فاعلية في بناء الثقة واستدامتها من خلال عمليات التبادل المادي والرمزي". (عبد العظيم ، 2011، صفحة 9) أما

بخصوص الفئة التي ترى بأن العِرض هو "رأسمال رمزي" نسبتها 16.66% وتتشكل هذه الفئة من ذوي الدراسات العليا فقط. ونشير إلى أن فئة متواضعة من المبحوثين (10%) تؤكد على أن العِرض هو "رأسمال ثقافي"ويظهر هنا دور التنشئة الثقافية التي تعتمدها كل أسرة جزائرية. فالثقافة من منظور بورديو لها جانبان اثنان أحدهما موروث [كل ما يناله الفرد خلال عملية التنشئة الاجتماعية] والآخر مكتسب [كل ما يكتسبه الفرد من مؤهلات تعليمية وفي غالب الأحيان يتشكل مما يمنحه التعليم والتدريب من مهارات ومعرفة وامتيازات وتوقعات] (عبد العظيم ، 2011، صفحة 10)

4.3. تأثير التغير الاجتماعي في تغير القيم داخل أسر الشرق الجزائري:

لم تكن جل التحولات التي عرفها المجتمع الجزائري عفوية ولا ذاتية بل كانت ناتجة عن احتكاك ثقافي (استعمار)، كما أنها كانت عنيفة. ومن هنا تنبع ضرورة دراسة تغيرات القيم وسط الأسرة الجزائرية وربطها بسيرورة التحول والتغيّر الثقافي والاجتماعي.

شكل رقم 3 : مظاهر التغير الاجتماعي في بعض القيم داخل الأسرة الجزائرية

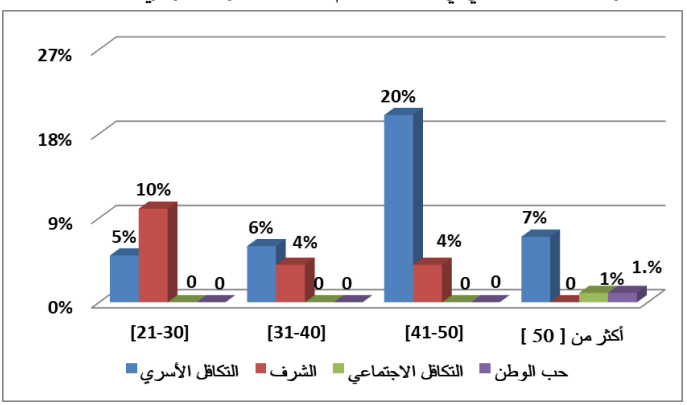

المصدر: سؤال (25) أثر التغير الاجتماعي في بعض القيم

تكشف لنا القراءة المتأنية لمعطيات الرسم البياني رقم (03) إجابات أكبر فئة

(20 %) من العينة الذين تتراوح أعمارهم بين [41-50 سنة] بشأن تأثر القيم الاجتماعية ويبرز التكافل الأسري كقيمة فقدت معناها بشكل كبير بنسبة (38 %). تليها من حيث الأهمية فئة الكهول (7 %) والمسنين (6 %) بينما يعتقد الشباب (5 %) أن الأسرة لم تعد تلك الأسرة الأبوية التقليدية التي تتمسك بنسق القيم والعادات والتقاليد وهو نفس ما يذهب إليه بوتفنوشت في قوله :" التحولات السريعة التي عرفتها العائلة الجزائرية كانت بمثابة صدمة على مستوى الذهنيات، أدت إلى انفجار التقاليد وتغيّر معنى الاحترام" (بوتفنوشت، 1984، صفحة 86) اما الشرف بالنسبة للفئة الشبابية (10

%) فيبدوانه تم تضييق مفهومه المختزل فقط في عذرية الفتاة وسلوكها ،هذا التفكير لم نلمسه خلال حديثنا مع المبحوثة (زليخة، 69 سنة من مدينة عنابة) التي تحدثت عن حبها لوطنها المغروس في قلبها منذ الصغر وعن الروح النضالية التي كانت تشجع كل فرد من العائلة للقتال في ميدان الشرف دفاعا عن ارضهم من المستعمر وهو ما تراه مفقود في شباب اليوم، حيث تبدى لنا أولوية تحول القيم حسب الفئة العمرية .

جدول رقم 6: التصور المستقبلي للحفاظ على قيمة الشرف داخل العائلة الجزائرية

التصور	التكرارات	النسبة
التمسك بتعاليم الدّين الإسلامي وما جاء في القرآن والسنة	32	% 53..33
عدم الخروج عن الأطر الاجتماعية من عادات وأعراف وتقاليد	10	% 16.66
التربية السليمة والأخلاق الحسنة	8	% 13.33
الحفاظ على الشّرف يكون بالتكافل الأسري والمساواة بين الجنسين	4	% 6.66
مصاحبة الأبناء وكسب ثقتهم بالحوار	3	% 5
الرعاية الأسرية للفتاة وتوفير الحنان والدفء لها، عوض البحث عنه في مكان آخر	3	5%
المجموع	60	% 100

المصدر: سؤالين (27-26) حول التصور المستقبلي للحفاظ على الشرف الأسري

من أجل التعرف على تصوّر الأسرة الجزائرية لكيفية الحفاظ على قيمتي الشرف والعِرض في ظل المجتمع الحداثي الذي قلب المفاهيم المحورية للقيم، بدى أن تصور غالبية المبحوثين (53.33 %) يؤكد على ضرورة التّمسك بتعاليم الدّين الإسلامي (القرآن والسُّنة) لتثبيت قيم الشرف والعِرض بين أفراد المجتمع. بينما (16.66 %) تعتقد بضرورة عدم الخروج عن الأطر الاجتماعية والعرف الجماعي، بينما يتمثّل منظور بعض المستجوبين الآخرين (13.33 %) في ضرورة الحفاظ على الشرف عن طريق التربية السليمة والأخلاق الحسنة، أما البعض الآخر يعتقد بأن الحفاظ على الشرف يكون بالتكافل الأسري والمساواة بين الجنسين (6.66 %). وهنا تبرز أهمية عدم التفرقة الجنسية وهو ما يتوافق ورأي نوال السعداوي التي تقول: "أن قيمة شرف العائلة كلها -برجالها ونسائها وأطفالها- قد يهدم بمجرد أن

تفقد إحدى البنات غشاء بكارتها. وحتى في حالة الاغتصاب ، فإن شرف العائلة كله يمسّ" (السعداوي ، المرأة والجنس ، 1982، صفحة 68)

خلاصة

نستخلص مما سبق أن قيمتي الشّرف والعِرض لا تزالان قيمتين أساسيتين داخل الأسرة (الشرقية) الجزائرية، رغم ما شهدته هذه الأخيرة من تغير في مناحي الحياة الاجتماعية ذلك أن بناء وتصوّر الشّرف في الأسرة، يعد قانونا أخلاقيا يحكم تنظيم الحياة الجماعية بين الأفراد وليس بمعزل عن القواعد العرفية والسلطة الذكورية ولا يتم تعزيز قيمة شرف العائلة الجزائرية إلاّ بتطبيق تعاليم دينها الإسلامي التي تدعو إلى المساواة بين الجنسين وتنشئة الأبناء تنشئة حسنة سليمة وتعليمهم كيفية حماية شرفهم والدفاع عن أرضهم ووطنهم.

على إثر هذه الدراسة التي أجريناها توصلنا بعد تجميع وتحليل البيانات الرقمية إلى مجموعة من النتائج التي يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

1)تصوّر الشّرف داخل الأسرة الجزائرية لا يزال قضية جماعية وليست فردية.

2)المحدد الأساسي الذي ينبني عليه شرف الأسرة، يتمثل في الجانب الدّيني كما وجدنا ان مصطلح " الحرمة" هو المفهوم الاكثر تعبيرا عن الشّرف في الأسرة بالشرق الجزائري وهو مسألة تنتقل من الآباء إلى الأبناء عبر عملية التنشئة.

3)العِرض ليس الشرف نفسه ذلك لأن الشّرف "رأسمال رمزي" أما العِرض فهو "رأسمال اجتماعي" حسب العينة يعني شبكة من العلاقات القوية بين أفراد الجماعة. كما يحتوي على رؤوس الأموال الثقافية والرمزية والاقتصادية التي يمتلكها الفاعلون المشاركون في شبكة العلاقات والأسرة واحدة منها.

4)الالتزام بالقيم السائدة في المجتمع هو ما يجعل الفتاة شريفة في نظر الغير، وهو انعكاس لأخلاق وتربية عائلتها لها، لتأتي طهارة العذرية بعد ذلك كبرهان قوي على عفة العائلة.

5) بدا تأثير التغير الاجتماعي والثقافي واضحا في قيم أخلاق وعادات العائلة الجزائرية التي عرفت تحولات عديدة في أنظمتها وبنيتها التقليدية، ويعود السبب الرئيسي في ذلك إلى ضعف الروابط الاسرية والاجتماعية. وابتعاد العائلة الجزائرية عن الأخلاق الإسلامية يعود إلى تأثير العولمة والعصرنة في حياة الأفراد والجماعة.

6) ما يعزّز قيمة الشرف ويصونه داخل الأسرة يعود الى التمسّك بتعاليم الدّين (القرآن والسّنة) وهو (العامل الديني) الذي يتمتع بسلطة قاهرة، تفرض قيمه ومبادئه وقواعده على سلوكيات الافراد والمجتمع.

قائمة المراجع:

حسني ابراهيم عبد العظيم (2011)،الجسد والطبقة ورأس المال الثقافي

(قراءة في سوسيولوجيا بيير بورديو)، مجلة اضافات(15).

دافيد لوبروطون (1997)، أنثروبولوجيا الجسد والحداثة، محمد عرب صاصيلا، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

دافيد لوبروطون (2014)، سوسيولوجيا الجسد. ترجمة إدريس المحمدي- عياد أبلال، القاهرة: روافد للنشر والتوزيع.

سليمان دحماني (2007/2006)، ظاهرة التغير في الأسرة الجزائرية -العلاقات، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الانثروبولوجيا الثقافية، تلمسان: جامعة ابي بكر بلقايد.

سولاف بوزيدي. (سبتمبر 2014)، إشكالية الشرف لدى المرأة : رؤية نقدية للطالبة الجامعية الداخلية بوهران، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية(العدد 16).

فاطمة المرنيسي. هل انتم محصنون ضد الحريم ؟، ترجمة نهلة بيضون، الدار البيضاء: نشر الفنك المركز الثقافي العربي.

مالك شبل. (2010). الجنس والحريم وروح السراري: السلوكات المهمشة في المغرب الكبير، تر:عبد الله زارو، الدار البيضاء: إفريقيا الشرق للنشر والتوزيع.

مباركة بلحسن (2019). المرأة الحسانية وثقافة الجسد مقاربة أنثروبولوجية للجنسانية، سطيف: منشورات الوطن اليوم.

مصطفى بوتفنوشت. (1984)، العائلة الجزائرية- التطور والخصائص الحديثة، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

نوال السعداوي. (1974)، توأم السلطة والجنس، المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي للنشر.

نوال السعداوي. (1982)، المرأة والجنس. (المجلد 2)، الاسكندرية: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

Bourdieu , P (1974) Sociologie de l'Algérie , paris. édition Puf .

Hérisson, A. (2014). Une Anthropologie de l'échange de violence, In Revue Inflexions.

Pitt-Rivers, J. (1983). Anthropologie de l'honneur, Paris: édition le symcore.